رباعيات جرح فلسطيني

رباعيات مهداة الى الشاعرة فدوى طوقان

— ١ —

نحنُ في حِلٍّ من التذكار ،
فالكرملُ فينـا
وعلى أهدابنا عشب الجليلِ
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر اليها ،
لا تقولـي !
نحنُ في لحم بلادي ، وهي فينا !

— ٢ —

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمامْ
ولذا ، لم يتفتت حبنا بين السلاسل
نحن ، يا اختاه ، من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً ،
ولكنّـا نقـاتل !

— ٣ —

ذلك الظلُّ الذي يسقط في عينيك
شيطان الـــه
جاء من شهر حزيران
لكي يعصب بالشمس الجبـاه
انه لون شهيـــد
انــه طعم صــلاه
انــه يقتل او يحيى ،
وفي الحالين : آه !

— ٤ —

أوّلُ الليل على عينيك ، كانْ
في فؤادي ، قطرةٌ من آخر الليل الطويل
والذي يجمعنا ، الساعة ، في هذا المكان
شـارع العـودة ..
من عصر الذبول !

— ٥ —

صوتـكِ ، الليلـة ،
سكين وجرح وضمادْ
ونعـاس جـاء من صمت الضحايا
أيـن أهـلي ؟
خرجوا من خيمة المنفى ، وعادوا
مرة أخرى .. سبايا !

— ٦ —

كلماتُ الحب لم تصدأ ، ولكنَّ الحبيبْ
واقع في الاسر ــ يا حبي الذي حمّلني
شرفـات خلعتها الريح ..
أعتـاب بيـوت ..
وذنـوب ــ
لم يسع قلبي سوى عينيك ،
في يـوم مـن الايام ،
والآن اغتنى بالوطنِ !..

— ٧ —

.. وعرفنا ما الذي يجعل صوت القبّره
خنجراً يلمع في وجه الغزاه
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبره
مهرجـانـا ، وبساتين حيـاه !

— ٨ —

عنـدما كنتِ تغنّين ، رأيتُ الشرفاتْ
تهجـر الجـدران ،
والساحة تمتد الى خصر الجبلْ
لم نكن نسمع موسيقى ،
ولا نبصر لون الكلمات
كـان في الغرفة مليون بطل !

— ٩ —

في دمي ، من وجهه ، صيف
ونبض مستعار .
عـدتُ خجلان الى البيت ،
فقد خرَّ على جرحي .. شهيدا
كـان مأوى ليـلة الميـلاد ،
كـان الانتظـار
وأنـا أقطف من ذكراهُ .. عيدا !

— ١٠ —

ألنـدى والنـارُ عينـاهُ ،
اذا ازددتُ اقتراباً منه .. غنّى
وتبخّرتُ على ساعده لحظةَ صمت ، وصلاهْ
آه ، سمّيه كما شئت شهيداً
انــه أجمل منـا
غـادر الكوخ فتى
ثم أتى ، لمـا أتى ،
وجـــه الـــه !

— ١١ —

هـذه الارض التي تمتصُّ جلد الشهداء
تَعِدُ الصيف بقمح وكواكب
فاعبديهـــا !
نحن في أحشائها مـلح ومـاء
وعلى أحضانها جرح .. يحـارب !

— ١٢ —

دمعتي في الحلق ، يـا أخت ،
وفي عينيَّ نـــارْ

وتحررتُ من الشكوى على بـاب الخليفه
كـل مـن مـاتوا ،
ومن سوف يموتون على بـاب النهار
عانقوني ، صنعوا مني .. قذيفه !

— ١٣ —

منزلُ الاحبـاب مهجـور ،
ويافـا تُرجمتْ حتى النخاعْ
والتي تبحث عني ..
لم تجد مني سوى جبهتها !
أتركي لي كل هذا الموت ، يا أخت ،
أتركي هـذا الضيـاع
فـأنا أضفره نجماً على نكبتها !

— ١٤ —

آه ، يـا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبـه
وأنـا لستُ مسافر
أنني العـاشق ، والارض حبيبـه !

— ١٥ —

واذا استرسلتُ في الذكرى ،
نما في جبهتي عشب الندمْ
وتحسَّرت على شيء بعيـد
واذا استسلمت للشوق ،
تبنيت اساطير العبيـد
وأنا آثرتُ أن اجعل من صوتي حصاةً
ومن الصخر .. نغم !

— ١٦ —

جبهتي لا تحملُ الظلَّ ،
وظلّي لا أراه .
وأنـا ابصق في الجرح الـذي
لا يشعل الليـل جبـاه !
خبئي الدمعـة للعيـد ،
فلن نبكي سوى من فرح
ولنسمِّ الموت في الساحة
عرساً .. وحيـــاه !

— ١٧ —

.. وترعرعت على الجرح ، وما قلتُ لأمي
مـا الذي يجعلها في الليـل خيمه
أنا ما ضيَّعتُ ينبوعي وعنواني واسمي
ولذا أبصرتُ في أسمالها مليون نجمه !

— ١٨ —

رايتـي سـوداءُ ،
والمينـاء تـابوت ،
وظهري قنطره
يـا خريف العـالم المنهـار فينـا
يـا ربيـع العـالم المولود فينـا
زهرتي حمـراء ،
والمينـاء مفتـوح ،
وقلبي شـجره ،

— ١٩ —

لفتي صوت خرير الماء
في نهر الزوابعْ
ومرايا الشمس والحنطـة
في ساحة حرب
ربمـا أخطأت في التعبير أحيانا
ولكن كنت ـ لا أخجل ـ رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي أ

— ٢٠ —

كان لا بد من الاعـداء
كي نعرف أنّا توأمـان !
كـان لا بـد من الريح
لكي نسكن جذع السنديان ،
ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على عرش الصليب
ظل طفلا ضائع الجرح .. جبان !.

— ٢١ —

لـك عنـدي كلمه
لم أقلها بعدُ ،
فالظل على الشرفة يحتل القمر
وبـلادي ملحمه
كنتُ فيها عازفاً .. صرتُ وتـر !.

— ٢٢ —

عالم الآثار مشغول بتحليل الحجاره
انه يبحث عن عينيه في ردم الاساطير ،
لكي يثبت أني :
عابر في الدرب لا عينان لي ،
لا حرف في سفر الحضاره !.
وأنا أزرع أشجاري ، على مهلي ،
وعـن حبي أغني !.

— ٢٣ —

غيمة الصيف التي .. يحملها ظهر الهزيمه
علقت نسل السلاطين
على حبـل السراب .
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمه
ها أنا ازددت التصاقاً .. بالتراب !

— ٢٤ —

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل ، وآنْ
لي أن أثبت حبي للثرى والقبَّره
فالعصا تفترس القيثار في هذا الزمان
وأنا أصغر في المرآة ،
مذ لاحت ورائي شجره !

محمود درويش